الكذبُ خطرٌ يهدّ ِدُ الأفرادَ والمجتمعاتِ

خطورةُ الكذبِ

إنّ َ أخطر ما يتهدد الدول والمجتمعات ويقوّض أركانها ويهدّد العلاقات بين مكوّناتها، هو تفشّي الكذب فيها، ما قد يؤدي إلى تضييع الحقائق وتزييفها وفقدان الناس ثقتهم بعضهم ببعض، ومن خلاله تفتح أبواب الشرّ وسبل الانحراف، حتى ورد في الحديث: «إنّ َ أَعْظَمُ الخطايا اللّسانُ الكَذُوبُ».

ويكفي للدّلالة على خطورة الكذب، أنه السلاح الذي استخدمه إبليس لإخراج آدم وحوّاء من الجنة، فهو عندما عرف أنّ ا سبحانه وتعالى نهاهما عن أن يأكلا من شجرة حدّ َدها لهما، جاء إليهما بثوب الناصحين وبلسانٍ كاذبٍ وقال لهما: (مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشّ َجَرَةِ إِ ّ َلا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ). وحتى يكون سلاحه هذا ماضياً وفاعلاً، أقسم لهما إنه من الناصحين، وكان له ما أراد.

وهذا السلاح هو الذي يستخدمه إبليس في إغواء الناس، وحتى يكونوا معه من أصحاب السّ َعير، والذي

أشار إليه الله سبحانه، عندما قال: (يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا)..

وهو ما سيعترف به يوم القيامة: (وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ).

نهيُ الأحاديثِ عن الكذبِ

فقد أشارت الآيات والأحاديث إلى هذه المخاطر، فقد ورد أنَّ رجلاً جاء إلى رسول الله (ص) قائلاً له: إني ابتليت بخلال أربع: الزنا، وشرب الخمر، والسّرقة، والكذب... وهي خلال أعرف أنَّ الله حرَّمها، ولكن لا طاقة لي على تركها كلّها، فإن قبلت مني بترك واحدة منها، آمنت بك، فقال له رسول الله (ص): نعم، تستطيع ذلك، اترك الكذب... فقبل الرَّجل ذلك وأسلم. فلمّا ولّى الرجل، عرضوا عليه شرب الخمر، فقال في نفسه: إن أنا شربت الخمر وسألني رسول الله عن شربها، فماذا أقول له؟ فإن كذبت أكون بذلك نقضت معه العهد، وإن صدقت أقام عليَّ حدَّ شرب الخمر، فتركها لذلك. ثم عرضوا عليه الزنا، فجاءه الخاطر نفسه وترك لأجل ذلك الزنا، وعندما أراد السَّرقة، تكرّر الأمر نفسه، فعاد إلى رسول الله (ص) وقال له: ما أحسن ما فعلت! لما منعتني عن الكذب، انسدَّت أبواب المعاصي.. وتاب الرَّجل عن الذنوب الثلاثة وعن أيّ ذنب كان سيفعله.

ومن هنا، ورد الحديث: «إنَّ الله عزَّوجلَّ جعل للشرّ أقفالاً، وجعل مفاتيح تلك الأقفال الشّراب، والكذب شرّ من الشراب».

ولا تقف آثار الكذب ومخاطره على من يتمّ الكذب عليهم وتشويه الحقائق، بل على الكاذب أيضاً؛ فقد ورد في الحديث: «من عُرف بالكذب قلّت الثقة به».

وفي الحديث: «إنَّ الكذبَ يُسَوّدُ الوَجهَ، وينقص الرّزق، ويورث الفقر، ويسبّب المهانة في الدنيا، والعذاب في الآخرة».

ويصل الأمر إلى طرده من رحمة الله (أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ).

وقد ورد في الحديث: «يكتسب الكاذب بكذبه ثلاثاً: سخط الله عليه، واستهانة النّاس به، ومقت الملائكة له».

لا يجتمعُ كذبٌ وإيمانٌ

ومنعاً لكلّ التّداعيات الخطيرة التي قد يؤدّي إليها الكذب، دعا الإسلام الإنسان إلى أن يكون واعياً عندما يستمع وعندما يقرأ، وعندما يتابع الواقع السياسيّ أو الاقتصاديّ أو الاجتماعيّ أو ما ينسب إلى الدّين، حتى لا يقع في أحابيل من يزيفون الحقائق ويتلاعبون بفكر النّاس ومشاعرهم ومواقعهم، مما أشارت إليه الآية التي تلوناها: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ).

وعمل الإسلام في الوقت نفسه على الإشارة إلى ما قد يؤدّي إليه، فاعتبر أنّ الكذب لا يجتمع مع الإيمان، وهذا ما عبّرت عنه الآية: (إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ).

وقد ورد عنه (ص): «علامة الإيمان أن تؤثر الصّدق وإن ضرّك، على الكذب وإن نفعك»، لأنّه سيضرّك بعد ذلك.

وقد ربط الله سبحانه طريق النّار بالكذب، كما ربط طريق الجنة بالصّدق، وذلك عندما جاء رجل إلى رسول الله (ص)، فسأله: يا رسول الله: ما عمل الجنّة؟ فقال له: "الصدق". وعندما عاد ليسأله عن عمل النّار، قال له: "الكذب".

وقد ورد في الحديث: "كبرت خيانة أن تحدّث أخاك حديثاً هو لك مصدّق وأنت له كاذب". وقد اعتبرته الأحاديث "خائناً"، بل هو أكبر الخائنين، ومنافقاً، وهذا قوله: (فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ).

وفي الحديث: «ثلاثٌ من كنّ فيه فهو منافق: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان».

فيما هدّد الله الذين يكذبون عليه بالعذاب: (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ).

ونحن عندما نتحدث عن الكذب، فإنّه لا يقف عند حدود الكلام كالذي نشهده في الأخبار الكاذبة التي تنقل إلى الناس، إن من خلال وسائل الإعلام والتواصل، بل نراه أيضاً في المتملّقين لمن يمتلكون المال أو السلطة لكسب ودّهم وما عندهم من مال أو موقع، وفي الوعود الكاذبة وشهادة الزور، ونراه في الّذين يسوّقون السِّلع ويظهرون خصائص ومميزات لها وهي ليست بتلك الصّورة.

الكذبُ المباحُ

لكنّ الإسلام رغم كلّ هذا التشدّد في حرمة الكذب وذمّه، أجاز الكذب إذا توقّف عليه الإصلاح ولم يكن الإصلاح ليتمّ إلّا به.

لذا، ورد في الحديث: «المصلح ليس بكاذب». وورد: «الكلام ثلاثة: صدق، وكذب، وإصلاح بين النّاس». كما يجوز الكذب، أو قد يصبح واجباً لدفع الظّلم عن إنسان مؤمن، فقد ورد في الحديث: «احلف باللهِ كاذباً ونجِّ أخاك من القتل»، «الكذب مذموم إلّا في أمرين: دفع شرّ الظّلمة، وإصلاح ذات البين».

الكذبةُ البيضاءُ؟!

إنّ من المؤسف أن يسوّق البعض للكذب ويعتبره مهارة وشطارة وأنّه ملح الرجال، ويفرّق بين كذبة بيضاء وأخرى سوداء، وقد وصل الأمر إلى أن صار له يوم باسمه يبرّرون فيه الكذب، ولو من باب الهزل، وهو الأوّل من نيسان.

فيما الحديث يقول: «اتّقُوا الْكَذِبَ الصَّغِيرَ مِنْهُ وَالْكَبِيرَ فِي كُلِّ جِدٍّ

وَهَزْلٍ».

لمواجهةِ هذه الآفةِ

إنّنا أحوج ما نكون إلى مواجهة هذه الآفة واستئصالها، وذلك بتعزيز الوعي لدى أجيالنا وفي المجتمع للتّداعيات الّتي غالباً ما تحصل من وراء هذه الآفة عند الله وعلى صعيد الواقع، حيث تؤكّد تجارب الحياة، أنّ الكذب قد ينجي ظاهراً، وقد يحصل الإنسان على بعض الفوائد منه، ولكنّ حبل الكذب قصير، وما يخسره الإنسان بسببه أكثر مما يربحه، إن هو ربح، فهو يخسر علاقته بربّه الذي بيده أمر رزقه وحياته ونجاته، وسينعت إن لم يكن في الدنيا، ففي الآخرة، بالخائن والمنافق، وسيكون مهاناً ذليلاً.

لن يكون هناك أمان واطمئنان واستقرار في المجتمع إلّا بالصدق، فقد ورد في الحديث: «الصّدق صلاح كلّ شيء، والكذب فساد كل شيء»، و«الصّدق ينجيك وإن خفته، والكذب يُرديك وإن أمنته».

وقد ورد في الحديث: «لا تنظروا إلى طول ركوع الرجل وسجوده، فإنّ ذلك شيء اعتاده، فلو تركه استوحش لذلك، ولكن انظروا إلى صدق حديثه وأداء أمانته»، ولن تكون لنا النجاة يوم القيامة إلّا به، وهذا ما أشار الله إليه: (هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ).

فلندع الله أن نكون من الصّادقين الذين يطابق قولهم عملهم، وسريرتهم علانيتهم، وإيمانهم سلوكهم، وأن نكون مع الصّادقين حتى لو كانوا أبعد الناس، وفي مواجهة الكاذبين حتى لو كانوا أقرب الناس.